أدلجة الخطاب الاشتراكي في شعر عبدالوهاب البياتي

The ideology of socialist discourse in the poems of Abdu-l Wahhab Bayyati

ناصر زارع (أستاذ مساعد في جامعة خليج فارس، بوشهر / إيران)
nzare@pgu.ac.ir
رسول بلاوي (أستاذ مشارک في جامعة خليج فارس، بوشهر/ إيران)
r.ballawy@pgu.ac.ir
علي عندليب (طالب دكتوراه في جامعة خليج فارس، بوشهر/ إيران)
ballawy@pgu.ac.ir

تاريخ الإرسال: 2019/11/11 تاريخ القبول:2020/03/28 تاريخ النشر: 2020/05/02

المراسل الرئيسي: بلاوي رسول
البريد الإلكتروني:r.ballawy@gmail.com

الملخص

تصوّر اللغة وأساليب النحو والبلاغة ايديولوجية الشاعر التي تنعكس في أدبه، فالأدب بوصفه صوراً كلامية ينشأ من واقعيات الحياة والمجتمع، ويصوّر دائماً ما يحدث في حياة الشاعر، وبما أنّ الشاعر هو ابن بيئته فيجب أن يصرّح بما يلاقيه في المجتمع. من هذا المنطلق هنا تبرز ظاهرة الاشتراكية كخطاب سياسي اجتماعي يتجنّب القدرة الفردية لصالح المجتمع وينشد بالحرية والدفاع عن حقوق العاملين في الأدب بمواصفاتها وميزاتها. البياتي تحمّل كثيراً من الشدائد والمحن في حياته مع كافة الناس وأبدى في كثير من المواقف الإنسانية آراءه، منها خطابه الاشتراكي الذي يظهر في أساليبه المستخدمة في القصائد، فها هو قد استخدم ما يساعده في إظهار مايعانيه من الآلام والظلم والفقر.

تهدف هذه الدراسة إلى فك الشيفرات الايديولوجية عن القصائد التي أنشدها الشاعر في قمة بزوغ شخصيته الاشتراكية فانتجت هذه المحاولة إلى العلم باستخدام الألفاظ والعبارات ذات الطابع الاجتماعي في أساليب نحوية بلاغية كالتكرار والحذف والمجاز والكنايات والإستعارات والأقنعة كما أدّت إلى ظهور الحزن والكآبة واختيار الرموز العربية لتحفيز أبناء البلد على الكفاح والمناضلة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الاشتراكي، الايديولوجيا، البياتي، البرجوازية.

Abstract:The language and grammatical and rhetorical structures depict the ideology reflected in literature. Literature as a verbal forms, originated from the realities of life and society .Therefore, he continuously deals with the life events of the poet, and as a poet is a native of his environment, he has to reveal everything that he has seen from the community. Hence, the phenomenon of socialism emerges as a social political discourse and prevents individual power in favor of society, and, in the form of literary features and constructs, defends the rights of workers and freedom. In his lifetime, Bayyati endured many difficulties and difficulties and, in many humanitarian positions, expressed his views, including his socialist discourse, which was based on practices He goes on to see what happens, and he uses what helps him to show pain, injustice, and inferiority.

The authors attempt to decode the ideological passages of poetry that he composed at the height of the emergence of a socialist personality. This attempt is based on the use of sociologically relevant terms and expressions, and in terms of grammatical and literary methods, including repetition, deletion, mask, and metaphors, and as a result of the emergence of the sadness and depression that the tyranny of the bourgeoisie leads to. The poet chooses Arabic symbols to motivate his compatriots to fight and strive.

Key Words: Socialist discourse, Ideology, Bayyati, Bourgeoisie.

المقدمة

إن لكلّ شعر إيديولوجيا تبرز في أساليب الشاعر المستخدمة وهذه الأساليب التي تستخدم في العرض النحوي أو البلاغي وفي الكلمات والإشارات، تتيح للقارئ استدراك المواصفات والميزات الايديولوجية عبر الخطاب الموجود في النص المنشود. فبالفعل تغيّر العلاقات الاجتماعية والسياسة فكرة الأديب، فيبوح بهذه الفكرة في أدبه لأنّه من وظائف الايديولوجيا أن «يرسم أو يشكل أو يعلمه التفكير في نفوسه من حيث موقفه في الهيكل الاجتماعي» (بال ودگر، 1386: 267-268).

والبيان صورة مادية للايديولوجيا والمادة الخصبة لظهور القضايا الاجتماعية ويتمّ «تحقيق قيمة ميزات النص في التفاعل الاجتماعي» (فركلاف، 1379: 214)، وبما أنّ الأديب لسان قومه يستطيع بفعله الأدبي أن يجاري المجتمع في السراء والضرّاء ويبيّن المواقف الشعبية في الخطاب الايديولوجي وهنا تعلو كلمة الشاعر بإستخدام كلام ذي ماهية وبنية إجتماعية وظهور الخطاب الايديولوجي في الأدب الذي يتبين «كيف تؤثر الايديولوجيا على كتاباتنا وأقوالنا» (سلطاني، 1378: 59). والثورة والقدرة لبيان مفاهيمهما تحتاجان للأدب وبالنسبة للاشتراكية فإنّ الأديب يجب أن يكون منحازاً للحزب، فالكتاب والأدباء الاشتراكيون أمثال غوركي، وفاريف، وشلوخوف وآستروفسكي الذين يعدون آباء للواقعية الاشتراكية يعكسون تعاليم الثورة في المجتمع والواقع إنّ الأدب هو لسان الثورة ولسان الاشتراكية.

فالبياتي –وهو إبن بلد رأى بأم عينه كثيراً من البلية والعناء– فهم كلمة الثورة والنضال، وتعلّم مبادئ الاشتراكية عندما أصبح يافعاً ورحل إلى بلدان كثيرة بسبب التشرّد والنفي، وبما أنّ «مجاراة نصّ ما أو مدرسة ما قد تسبّب في تغيير أسلوب الكتابة ومدرسة الشاعر» (فتوحي، 1395: 226)، تغيرت إيديولوجيا البياتي وأصبح من المنحازين إلى الجانب الاشتراكي.

ومن هنا يبدأ الخطاب الاشتراكي دوره كفكرة عامة في الأدب العراقي، فالاشتراكية بوصفها خطاب يركن لبروز الموقف الاجتماعي ودور الناس ضد البرجوازيين والإقطاعيين تولّدت من فكرة مكسيم غوركي وبرزت في أفكار اليساريين، إذن تقترب الاشتراكية من الشيوعية والواقعية وتنادي بإعلاء كلمة المجتمع ضد الحكم الفردي والنظام الإقطاعي وتدعو إلى الثورة وتقف بجانب العمّال وتميل «أن يرى الإنسان جذوره الإنسانية في الحياة الجماعية» (وينسنت، 1378: 140).

تصدّى الشاعر في مجموعة من دواوينه التي ألّفها طيلة حياته الأدبية لكثير من المواقف الاشتراكية وتجسّدت في أشعاره روح الشيوعية والواقعية والاشتراكية باستعمال الكلمات والأساليب النحوية والبلاغية، فإنّه دعا المجتمع بالثورة في كثير من قصائده وكان محامياً للفقراء في أغلب نصوصه الشعرية وشعرَ بالوجوم والألم والحزن كما نسب اللئامة والجشع في أسلوب ساخر ملئ بجرس الحقد والضغينة إلى المستبدين والمعتدين لحقوق الضعفاء من أبناء العالم.

ونحاول في البحث أن نجيب عن هذا السؤال: كيف تجلّت أدلجة الخطاب الاشتراكي في شعر عبدالوهاب البياتي فاستجاب دعوة الشعب في الكفاح والنضال؟ فيثير دهشتنا أن نراه موالياً للشعوب المستضعفة وداعياً إلى الجهاد وهذا عن طريق إستلزامه النفسي باستخدام كثير من الكلمات والصفات التي تبيّن مواجهة الشاعر مع القذارات والشرور (شفيعی كدكنی، 1387: 186) كما يستخدم كثيراً من الرموز للإبانة عن المجد العريق وإحياء عظمة العرب وتحفيز أبناء بلده للكفاح.

خلفية البحث

تناول العديد من الباحثين تجربة عبدالوهاب البياتي الشعرية، فمنهم من طرق باب الإسلاميات في أدبه فكتب عن التناص كما فعلته طيبه سيفي (1390) في مقال عنوانه «التناص في أشعار عبدالوهاب البياتي مع القرآن الكريم» فنشر في مجلة *پژوهش‌های میان رشته‌ای قرآن کریم* في عددها الخامس.

ومن الناحية الاجتماعية والسياسية حصلنا على بحوث كثيرة عملت في إطار الإلتزام والإغتراب والأقنعة فمنها ما كتبه صلاح الدين عبدي وليلا عسكري في مجلة إضاءات نقدية العدد 12 عنوانه «الإلتزام في أشعار عبدالوهاب البياتي»؛ والمقال الآخر «هاجس الإغتراب والترحال عند عبدالوهاب البياتي» لناهدة فوزي (2011) نشرته مجلة مركز دراسات الكوفة في عددها 21، كما نشرَ حامد صدقي وفؤاد

عبدالله زاده (1430) مقالاً عن القناع عنوانه «القناع والدلالات الرمزية لعائشة عند عبدالوهاب البياتي» وقد تم نشره في مجلة دراسات العلوم الإنسانية العدد الثالث.

لكن الدراسات التي عالجت الاشتراكية والموضوعات الاجتماعية عند عبدالوهاب البياتي منها ما قدّمه عباس راستگو (1389) في رسالته لنيل درجة الماجستر بجامعة العلامة الطباطبائي عنوانه «المدرسة الواقعية الاشتراكية عند عبدالوهاب البياتي وأحمد عبدالمعطي الحجازي». ورغم كثرة البحوث حول مشروع عبدالوهاب البياتي الأدبي لم نعثر عن أية دراسة مخصّصة حول تحليل الخطاب الاشتراكي أو ما جاء في عنوان بحثنا هذا أدلجة الخطاب الاشتراكي في شعر عبدالوهاب البياتي، هذا وقد عثرنا إلماحات قليلة في بطون الكتب، منها كتاب «الرؤيا في شعر البياتي» لمحي الدين صبحي أو كتاب «خطاب البياتي الشعري» لمحمد مصطفي علي حسانين حيث أشارا إلى الإيقاع والدلالة والتناص وبعض المضامين الموجودة في شعر البياتي.

وكأفضل عمل لابد أن نشير إليه كتاب للدكتور إحسان عباس (1955) مخصّص لشعر البياتي عنوانه «*عبدالوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث*»، وأطروحة لزاهد العربي (1966) عنوانه «*القضايا الإنسانية المعاصرة في شعر البياتي*»، الكتاب الأكثر مناسبة للحضور الاشتراكي في أدب البياتي وكما يجب الإشارة إلى إطروحة نعيمة فراحات (1985) بعنوان «*الايديولوجيا في شعر عبدالوهاب البياتي*» بجامعة محمد الخامس – الرباط.

حياة البياتي السياسية

عبدالوهاب البياتي ثمرة ناضجة لمختلف الجماهير من العرب. وُلِد في حي من أحياء بغداد فترعرع في ظل الفقر والغنى حيث رأى هذا القطاع مزدحماً بالفقراء وصغار البرجوازيين. جرّب حياة التشرد والمحن وأبدى عن آراءه السياسية و«شارك في المظاهرات الدموية سنة 1948م ضد معاهدة جبر–بيفن[i] وكانت هذه الحادثة هي صدمته الأولى بالواقع السياسي ومنذ ذلك الوقت بدأ البياتي يبحث عن النماذج الثورية في الأدب العربي وفي الآداب الأجنبية» (رزق، 1995: 9).

زار البياتي كثيراً من البلاد والمدن وفي هذه الزيارات كمستشار ثقافي أو سيّاح تسنّى له التعرف على كثير من التجارب الاجتماعية والثقافية والسياسية كما تعرّف على «أعمال كتّاب روسيين أمثال تولستوي، وتشيخوف، ودستويفسكي» (نفس المصدر: 9)، فتغيرت مسيرته الأدبية من الرومانسية إلى الواقعية حتى انتهى بالاشتراكية والثورة (نفس المصدر: 20)، فكانت هذه المعرفة صلة بينه وبين الأعمال الأدبية الناضجة التي تعبّر عن النبرة الماركسية والواقعية والاشتراكية في آن واحد كما «لعبت هذه الإقامة والتعرّف دوراً مهماً في نهوضي الروحي والثقافي» (البياتي، 1999: 102).

هذه الحياة المزدحمة بالوقائع المحرجة للشاعر وموقفه الحاسم من الظلم والفقر والاستبداد والبرجوازية نتجت عن رؤية تحررية ثورية ضد النظام الأرستقراطي والدفاع عن المجتمع بأي نحو كان، فلهذا يُعتبر عبدالوهاب البياتي «أنضج شعراء الموقف الاجتماعي حيث استطاع أن يجتاز مرحلة الانفعال في أعماله الأولى [من سنة 1950 إلى 1964]... بالثورة وبالكفاح ... وبالتالي فإنه أقدر الشعراء الواقعيين على إعطاء موقف ايديولوجي محدد.» (الورقي، 1983: 284)

والبياتي يُعتبَر من أبرز شعراء المنطقة في النصف الثاني من القرن العشرين (الجبوري، 2003: 345) وكان شاعراً مناضلاً وشاعراً ملتزماً وقد كانت «المسألة الجوهرية عنده أو أمّ المسائل هي أن يلتزم الشاعر بقضايا وطنه» (البياتي، 1997: 12).

الايديولوجيا والخطاب الاشتراكي

هناك ثلاثة مضامين في عنوان هذا القسم: الخطاب، والاشتراكية والايديولوجيا. فلابد لكلّ من هذه المصطلحات أن تظهر في قاموس أفعال الإنسان ولغته؛ حيث أنّ اللغة هي الآلة التي تكشف عن الدلالات والمفاهيم، والواقع أن الايديولوجيا والاشتراكية يظهران في اللغة والخطاب. فعلى هذا نعتبر الخطاب مفهوماً يوصل اللغة بالسياسة (سلطاني، 1387: 15) أو هو لغة ما تستعمل في الحقول الخاصة بالسياسيات أو الاجتماعيات، كالخطاب الماركسي مثلاً.

وقد تظهر الايديولوجيا التي تعني «في أصلها الفرنسي علم الأفكار» (العروي، 2012: 9) في المؤسسات الاجتماعية بوساطة اللغة وتصور رؤية مخصّصة لفكرة ما أو «نظرة يلقيها الإنسان إلى الكون والمجتمع والفرد والتي تندرج تحت قواعدها العامة كل تقرير أو حكم صدر» (نفس المصدر: 10) في ذلك العصر، فإذا ركّز هذا الخطاب الإيديولوجي بوصفه حركة أدبية على الفلسفة الماركسية التي تهدف إلى تحويل بنية المجتمع الطبقي إلى المجتمع الاشتراكي، يظهر الخطاب الاشتراكي أو ايديولوجيا الاشتراكية التي تركز على الأصول التالية:

1- أولية النواحي السياسية والاجتماعية

2- الإصرار على أن الأدب يجب أن يصبح سلاحاً قوياً في الصراع الطبقي

3- تصوير السمات القومية والعالمية للصراع الطبقي

4- توظيف اللغة البسيطة (رزق، 1995: 104-105)

تعتقد الاشتراكية بديمقراطية القرارات والابتعاد عن الأفعال غير الأخلاقية وبعبارة أخرى رفض الفردية لصالح الاجتماع (قادري، 1387: 64-66) فالاشتراكية، بوصفها ايديولوجيا، «تسعى لتحقيق مساواتها لمصداقية الديمقراطية ومعناها» (بال و دگر، 1386: 269) وتتدارك الأجواء المناسبة لبسط الحرية والعدالة الاجتماعية والدفاع عنهما ومن هنا تتصل الايديولوجيا والاشتراكية حيث نشاهد أن الايديولوجيا تدافع عن الحرية وانتشارها وهي مجموعة من العقائد الأساسية لمسيرة الإنسان ومفهوم متسع من الحرية فتبين الأوضاع الاجتماعية لتساعد الناس في فهم موقفهم الواقعي في المجتمع ولإعطاء برنامج متكامل للعمل السياسي والاجتماعي (نفس المصدر: 7-14).

وثمة مفاهيم تنضج في حقل الاشتراكية وأدلجتها، فيبرز مفهوم القدرة في المستوى العالي والأسفل مما يثير إنقلاباً كبيراً في الفكرة الموجودة عند الاشتراكيين، فدوماً يطالبون بالمساواة والأخوة وإعطاء الضعفاء قسطاً من القدرة ليقاوموا أمام الجبابرة ويستقيموا في القدرات الاجتماعية.

إذن عندما نذكر المواصفات الايديولوجية في الخطاب الاشتراكي، يمكن أن نعد هذه الخصائص في القائمة التالية وهي: المساواة، والعدالة الاجتماعية، والحرية، والدفاع عن الضعفاء والعمال، ورفض السلطة الفردية لصالح القدرة الجمعية والهوايات الإنترناسيوناليستية. وقد رحّب البياتي بالمضامين الاشتراكية والشيوعية في أدبه حيث لبّى الدعوة المرسلة عبر زياراته لكثير من البلدان بقبول هذه المفاهيم الاجتماعية فلهذا يُعتبر من أهمّ الشعراء المعاصرين في مجال الاجتماعيات.

لغة البياتي والاشتراكية

تلعب اللغة الأدبية دوراً هاماً في ظهور القضايا الاجتماعية وبزوغها عبر التقنيات المختلفة والأساليب المتنوعة، فاللغات المخصصة لخطاب ما أو ايديولوجية ما مذ أن تظهر في قصيدة أو كتابة منثورة تبدي عن شخصية الكاتب أو الشاعر والأدلجة الموجودة لديه، أو بعبارة أخري إنّ اللغة صورة الايديولوجيا وهي تحمل في طياتها نوعاً من الايديولوجيا (فركلاف، 1379: 92) عبر تقنياتها إما باستعمال اللغات المخصصة أو استخدام أساليب نحوية أو التقنيات البلاغية كالإستعارة والتعريض والتقديم أو التأخير والتكرار و... .

وللبياتي يد واسعة في الكشف عن المعاني حيث يثير دهشتنا بعملية التجريب الشعري المستمرة لانصهار تجارب الماضيين والمعاصرين في الشعر (الخياط، 1987: 137) وخلفية شاملة من الأفكار الاشتراكية، فله أن تظهر هذه البراعة والقدرة في أدبه وبما أن البياتي يلتزم في عدة من مجموعاته التي صدرت من عام 1955 إلى 1964 بالدعوة إلى الاشتراكية ويمارسها لتصوير صدارة النواصي الاجتماعية في الصراع بين المستضعفين الفقراء والمستغلين الذين يمتصون دم الشعب (راستگو، 1389: 103) فيجب أن نشير إشارة واضحة إلى الملامح الاشتراكية الموجودة في نتاجه الشعري.

البياتي بعد أن جرّب قصيدة التفعيلة والتعبير بالصور والتبسط في استخدام الأساليب اللغوية «سخّر شعره لتجسيد ديالتيك النفور والرغبة إلى أقصى حد ممكن؛ النفور من مظاهر الإنحطاط والجمود والتخلف التاريخي والمعاصر والرغبة في الحرية والتقدم والعدالة الاجتماعية والوحدة العربية الطارفة والتليدة» (صبحي، 1987: 301).

ولدى البياتي ما يصرّح بأنه استفاد من شتى الأساليب والأقنعة في بيان ما لديه من الأفكار الاشتراكية التي تظهر في العدالة والتمرّد والرد على النظام البرجوازي والانحياز للفقراء والثورة على الإستبداد والدفاع عن الطبقة الكادحة.

يستعمل البياتي أساليب التقديم والتأخير ويلتزم بالنماذج التركيبية للنحو العربي ويوظّف الحذف والتكرار والأساليب النحوية والرموز الكثيرة مع قليل من رصف العبارات الإسمية أو الوصفية كما يشير بلغته إلى الصراع الموجود لإستعادة الأرض للفلاحين والخبز والملح للجائعين حتى تكون النتيجة النهائية التحرر والحرية في ظل الاشتراكية (رزق، 1995: 116-135).

فلغة البياتي هي لغة الاشتراكي بما فيها من كلمات وعبارات وقد تعكس الطابع الاشتراكي والواقعي وبما أنّ «المعاني والإدراكات التي ينتجها النص الأدبي هي إعادة صنع لما صنعته الإيديولوجيا بالواقع» (سلدون، 1998: 73)، فالبياتي يظهر أدلجة الخطاب الاشتراكي التي أوحيت إليه من كتّاب الأدب السوفيتي وبما تأثر من أمثال مكسيم غوركي وناظم حكمت.

كثر بعض الكلمات والعبارات في معجم البياتي اللغوي والأدبي فتكتظ دواوين البياتي بذكر الحزن والدخان والنار والخبز واللئيم والفقير،ز فنظرة عابرة في هذه الكلمات تدلنا على بزوغ الفكرة الاشتراكية في أدب الشاعر، فهذه الكلمات رموز للثورة والفقر والظلم والحرية تستخدم في أساليب النداء والتعجب والتكرار والحذف، فالشاعر يتكلم عن الخبز حيث يصوّر معاناة الشعب فيصرخ بأنّ «الخبز للجميع» ويستعمل النار والدخان رمزين للثورة والخفقان وضجر العمل كما يقول: «وخصلة من شعره لوثّها الدخان» إشارة جامحة لوقوف الشاعر بوصف معتقَل استجوبه المحققون في السجن وهم يدخنون.

وقبل أن نخوض في ديوان الشاعر لاستكشاف نماذج من الأدب الاشتراكي وتحليلها تجدر الإشارة إلى أنّ عناوين القصائد في دواوينه أيضاً توحي بالمفاهيم والمواقف الموجودة في فكرته، فقراءة يسيرة في فهارس الديوان تكشف لنا عن فكرة الشاعر ولكننا في هذا المقام لضيق المجال لخص بعض المفاهيم الاشتراكية فيما يلي:

1- الحرية والمساواة

الحرية من المفاهيم اللافتة في القاموس الاشتراكي لأنّها تجسّد فك القيود عن رقاب الناس والخروج عن ضغط البرجوازيين والإقطاعيين، إنّها «لن تتحقّق إلّا بتحرّر الفرد من الاستغلال والقضاء على الدولة الطبقية» (العام، 2006: 161) بل وإنّ «حرية الفرد هي شرط لحرية المجتمع التي لاتتحصل هذه الحرية إلا بسقوط الأرستقراطية» (ايگلتون، 1383: 60) وهي تعني في القاموس الاشتراكي «تحرّر الفرد من الجوع والفقر، فإذ لم يتحرّر منهما فإنّ جميع عناصر الحرية لا تعني شيئاً» (العام، 2006: 159).

والحرية على الأساس الاشتراكي حرية موجبة وهي عبارة «عن إشراف الأشخاص على الظروف المعيشية المشتركة» (پتروسياني، 1380: 89)؛ ولاتدوم الاشتراكية إلا بها وهي في المصطلح السياسي «الحركة نحو إسقاط الدولة كجهاز للهيمنة الطبقية وفي حقل الثقافة والمجتمع هي حرية البيان والفكر وفي الحقل الاقتصادي هي إمحاء السدود الموجودة لبسط المساواة» (www.problematicaa.com)

وقد يستمعل الشاعر للإبانة عن مفهوم الحرية أساليب شتى، كما يروم إلى استخدام الجمل الإسمية للدلالة على الصمود والثبات في «قصائد إلى يافا»، فأساليب التعجب والنداء والجمل الإسمية والفعلية والإنتقال بينهما وكثرة الصور الجميلة من التشبيه والإستعارة والمفارقة تبرز تصويراً واضحاً عن الحرية فيها.

فإنّ الشاعر يطالب بالحرية و«هي أساس ايديولوجيته الفكرية. إنّ على الإنسان أن يتحرّر أولاً، وبعدها سوف يتمكّن من أن يحقّق لنفسه وللآخرين أمل الإنسانية» (الورقي، 1983: 289) وفي هذه الحرية يقول:

«حيث تنشق البذور/ ترضع الدفء، من الأعماق، تمتد جذور/ لتعيد الدم للنبع وماء النهر للبحر الكبير/ والفراشات إلى حقل الورود» (البياتي، ج2، 1995: 193)

فواقع إنشقاق البذرة يوحي بحريتها من الظلمة ومن وطأة التراب الثقيلة التي توهن قواها ولكنها ترضع الدفء من الأعماق وهذه هي صورة جميلة تصوّر لنا صورة الرضاعة والطفولة وتشير إلى الجذور القوية والمتينة وتحصى هذه البذرة قوام الجماعة وكلها خلف التحرّر من وطأة الظلمة الموجودة تحت التراب.

وأيضاً يقول البياتي: «وكأن معركة تدور/ بيني وبين الموت في صمت وإصرار حزين/ أنا لن أموت/ .../ أنا لا أزال، هنا أغني الشمس، في صمت وإصرار حزين/.../ المجد للشهداء والأحياء، من شعبي/ وللمتمزقين الصامدين... .» (البياتي، ج1، 1995: 194-196)

إنّ الشاعر يطالب بالحرية في ظل الكفاح وإراقة الدماء فيميل إلى رصف اللغات النابعة من الخطاب الاشتراكي فيقول: «وكانت شعاراتنا كالسماء/ مخضبة بدماء الرفاق/ وكنّا نطالب باسم الصغار/ وباسم الحياة.../ نطالب بالأرض للكادحين/ وبالخبز والملح للجائعين/ وكان رفاقي الصغار/ – وورود الغد اليانعات/ وراء الجدار/ يموتون تحت سياط البغاة/ ... وقد أسدل القاتلون الستار.../محاكم تفتيشهم، يا رفيق.../ وظلت شعاراتنا.../ ترفرف في أمل وانتظار» (المصدر نفسه، ج1: 238)

تجد في هذه اللوحة المميزة الحرية بعد انطلاق الأبناء إلى الموت والعذاب، فيدعو بالفكاك عن القيود ويشبه الشاعر الرفاق الصغار بالورود اليانعات وهم يموتون، ويلعب اللون دوراً بارزاً في نصوص الشاعر كما تشير اللغات والعبارات إلى الفكرة، فكرة الأمل بعد المعاناة. هذا الأمل يظهر في قصيدة «الباب المضاء» فيقول الشاعر: «.. وأصدقائي الميتون/ بلا وجوه يحلمون/ بالفجر.... / وصناع الظلام/ يتاجرون بما تبقي من سموم.../ والأصدقاء الميتون من المصانع والحقول/ كمياه نهر هائج يتدفقون/ ويهتفون:/ بموت سفاكي الدماء/ وسقوط صناع الظلام.../ وصبية يتوعدون: / الليل ولّى/ نحن أحرار/ لنا حق المصير... .»(المصدر نفسه، ج1: 304-305)

إستغل الشاعر استعارة "صناع الظلام" حيث جعل الظلمة شيئاً يصنعه الأشخاص ويتاجرون به، والشاعر من خلال الأصدقاء الذين ماتوا في المصانع والحقول يصوّر لنا كيفية حياة العمال وأذاهم. وصورة الجمل كلها معلومة لأن الشاعر يصرّح بما تعرّض له ابناء بلده فيروي قصة البؤس والفقر والحقارة لكي يفهمه الشعب.

يشير البياتي إلى الحرية في الكلام فيقول: «جرذان حقول الكلمات/ دفنوا رأس الشاعر في حقل رماد/ لكن الشاعر فوق صليب المنفى/ حمل الشمس وطار» (المصدر نفسه، ج2: 467) فرغم أنّ أبناء الشعب يعيشون في المنفى بعيداً عن أرض الوطن لايقدرون على احقاق حقوقهم، إلّا أنّ البياتي يحفزهم على التحرّر من القيود فيقول: «حين انتحر الشاعر.../وحين اخترقت صحيته ملكوت المنفى/ طفق الشعب القادم من صحراء الحب/ يحطم آلهة الطين/ ويبني مملكة الله...» (المصدر نفسه، ج2: 451)

يظهر استياء البياتي من الرأسماليين الذين لايريدون الحرية للسائرين بل يهدفون إلى اسارة الطبقات الاجتماعية الأخرى ويقول: «العالم منفى في داخل منفى والناس رهائن/ ينصب بعض منهم للبعض كمائن/ في هذا الشبر من الأرض وفي ذاك الصقع الشاسع/ ما بين الواقع والأسطورة/ يتحدى الانسان مصيره» (المصدر نفسه، ج2: 440)

وفي هذا الجو الخانق تعلو كلمة الشاعر ويواجه السلطان حينما يضج الناس في الخرائب فيرى الحرية في موته فيفدي نفسه لخلاص الآخرين «بحثُ بكلمتين للسلطان، قلتُ له: جبان .../ وضج في خرائب المدينة، الفقراء إخوتي، يبكون.../ ولم أجد إلا شهود الزور والسلطان، حولي يحومون/ وحولي يرقصون: إنها وليمة الشيطان .../ وها أنا أنام/ منتظراً فجر خلاصي، ساعة الإعدام» (المصدر نفسه، ج2: 15-16)

ينكر الشاعر ملاطفة الآخرين لبلده فيدعو الناس بالحركة ويسب الفاشيين ويقول: «ارتجفت الشارع والمصباح والظلام/ لأن طفلاً عاري الأقدام/ مخضباً بدمه ممزق الأكمام/ لاتلمسوا جراحه/ لاتوقظوه/ أيها الفاشست/ من رقاده، حرام» (المصدر نفسه، ج2: 113)

وتظهر الفكرة الجماعية للايديولوجيا الاشتراكي في هذه العبارة «والأصدقاء الميتون... كمياه نهر هائج يتدفقون». "الصديق الميت" هي مفارقة رائعة لأنها تشير إلى أنّ أصدقاء الشاعر قد ماتوا ولايبقى فى الأرض من يتصادق معه، ثم "النهر الهائج" يدل على الهياج والفيضان في قلب الشاعر حيث يريد أن يوقظ مواطنيه من النوم العميق فينهضون لإحياء مجدهم والذود عن حقوقهم المشروعة. فاستخدام

صيغ الجمع تُعتبَر نظرة جماعية توحي بفكرة المجتمع بدل الفرد. هذه الصورة أي صورة المياه المتوهجة تقابل صانع الظلام فهنا مقابلة بين صانعي الظلمة والأصدقاء الذين هم كالمياه، فهذه الصورة صورة جميلة لما يمر في فكرة الشاعر:

يستعمل الشاعر أسلوب النداء دون أن يصرّح بالمنادي بغية الثورة الجماعية ضد الاستعمار فيحذف كثيراً من الكلمات والعبارات بين حرف النداء والأمل المنشود بسقوط الاستعمار لأنه ينادي كل الجماعات المظلومة للطغيان والنيران مقابل صانعي الظلام.

2- البرجوازية والعامل

النظام الاشتراكي قوامه رفض الهيمنة الفردية في صورها المتعدّدة كالبرجوازية، والإستثمار لصالح المجتمع والعمل الجماعي، كما يعتقد هذا النظام أنّ للعامل حق الإنتاج والتمتع بالثروات. ولابد لوجود قوة فوق القوى الإنتاجية تفرض عليها برامج شاملة وأدوات منتجة.

وفي هذا السبيل يحتوي الخطاب الاشتراكي على آليات الدفاع عن حقوق العمال أمام الممولين والطبقة الحاكمة الأرستقراطية، والبياتي الذي شاهد معاناة الشعب العراقي ومعاناة الشعوب في البلدان الأخرى اهتمّ بهذا الموقف وجعل أدبه لائحة للدفاع عن الحقوق المفقودة للعاملين، فأخذ يتكلّم عن الكدح والمحن والآلام المهيمنة على الفقراء والضعفاء في قصائده عامة. يقول البياتي في قصيدة موسومة بـ «مذكرات رجل مجهول»

أنا عامل، أدعي «سعيد»/ ... /أعرفت معنى أن تكون؟/ متسولاً، عريان، في أرجاء عالمنا الكبير!/ وذقت طعم اليتم مثلي والضياع؟/ .../ لصاً تطارده الظلال/ .../ فنحن يا مولاي، قوم طيبون/ بسطاء، يمنعنا الحياء من الوقوف/ أبداً على أبواب قصرك جائعين/ .../ ما زلت خادمك المطيع/ .../ مولاي! أمثالي من البسطاء لايتمرّدون/ لأنّهم لايعلمون/ بأن أمثالي لهم حق الحياة/ .../ و أن في أطراف كوكبنا الحزين/ تسيل أنهار الدماء/ من أجل إنسان الغد الآتي السعيد/ من أجلنا، مولاي، أنهار الدماء/ تسيل في أطراف كوكبنا الحزين/.../ و كأنّ إنسان الغد الآتي السعيد/ إنسان عالمنا الجديد/ مولاي! يولد في المصانع والحقول. (المصدر نفسه، ج1: 186-188)

حسبك أن ترى وصف العامل بالسعيد والمفارقة الموجودة في القصيدة حيث تتكلّم عن بؤس العامل «سعيد» وشقائه. العامل في هذه القصيدة ليس سعيداً حقاً بل يعيش بالشقاء؛ والشاعر لبيان هذا الشقاء يأتي بأفعال وأوصاف مجهولة منكّرة فيبين لنا بأنّ العامل لم يكن سعيداً خلافاً للاسم الذي يحمله. فهذا العامل وأمثاله من الفقراء الطيبين البسطاء لايريدون التمرّد على الوضع الراهن لعدم اطلاعهم على حقوقهم المشروعة ولبساطتهم في سلوكياتهم. هذه الأساليب في مظهرها توحي بظلم الطبقات الحاكمة ضد الضعفاء من العمال وتدعو إلى التمرد والثورة بل العنوان بمفرده يوحي بهذا المفهوم والموقف.

فهذه القصيدة تصف حالات عامل ذاق طعم اليتم والضياع في استعارة خلابة بل يحدث تناقضاً في القصيدة بين كبرياء العالم والتسول والعري بحيث يسأل الناس كيف يمكن أن يكون في هذا العالم الكبير رجل مستول عريان؟!

المعجم اللغوي في القصيدة «متسول، عريان، بسطاء، جائع، خادم المطيع» يُعتبر وصفاً شاملاً للعامل أمام البرجوازيين فهذا العامل لايقدر على التمرد، بل وإنّه لايريد التمرد أصلاً حيث نراه يقدّم مولاه على نفسه ويخاطبه بلين ورفق فيقول: «مولاي! أمثالي من البسطاء لايتمردون!» أو «فنحن يا مولاي، قوم طيبون» أو «مولاي! يولد في المصانع والحقول»، هذا التكرار لكلمة مولاي يثير الدهشة والاستغراب وهي تعريض للجبناء والضعفاء ودعوة للثورة والقيام أمام الجبابرة.

ثم تجري القصيدة وتصف حالة البؤس للعامل وصفاً مبسوطاً ينتقل من زمن إلى زمن، وفي هذا السياق تتكلم القصيدة عن اليتم والضياع اللذين حدثا في الماضي ثم تتحدّث عن الحاضر وينتقل الشاعر بأسلوب ملائم في هذا النصّ إلى المستقبل فيستخدم هذه الأفعال

والكلمات «ادعي، عرفت، ذقت، تطارد، يمنعنا، ما زلت، لايتمردون، لايعلمون، تسيل، إنسان الغد الآتي، تسيل، عالمنا الجديد». وفي النص التالي يقول الشاعر:

السيد البرميل/ قفاه بطنه و بطنه قفاه ذرب اللسان/ ... يقول الشعر أحياناً بلا أوزان/ لكنّه يخطئ في الإملاء والإعراب/.../ يحصي نقود العابرين وهي في جيوبهم تنقص أو تزداد/ ... ثدياه ثديا مومس عارية في الشمس/.../ رأيته في مدن الشرق وفي أسواقها يبصق في عيونه الحدّاد/ و بائع الخضار والعطار/ .../ و يتبع الطيور للمنفي ويبني دونها أسوار/ وينصب الشراك/ لعاشق النور الذي تأكله النسور فوق السور/.../ والسيد البرميل... يظهر... في طوابير اللصوص وصفوف مخبري السلطات/ .../ وينتهي كما انتهي اللصوص والشطار/ عبداً إلى أسياده وخادماً للبيع والإيجار (المصدر نفسه، ج2: 298-299)

هذه القصيدة تصف حالات الطبقة البرجوازية، والشاعر يسخر منهم في أسلوب تهكمي باستخدام الألفاظ والعبارات ذات الإيقاع الساخر. نرى في القصيدة عبارات «السيد البرميل، قفاه بطنه وبطنه قفاه، يقول الشعر أحياناً...، يخطئ في الإملاء ...، يحصي نقود...، ثدياه ثديا مومس ... .» إلى هنا نسمع موسيقى ساخرة وعبارات هازئة ضد السيد البرميل والعباره هذه تعتبر إستعارة ملفتة ومفارقة جميلة، فيصوّر الشاعر لنا تصويراً حسياً لما يحدث ووصفاً عضوياً بالابانة عن كل عضو في جثة السيد البرميل.

هذه الصورة الساخرة للبرجوازيين تراها في ديوان البياتي في كثير من القصائد، ففي قصيدة «صورة تقريبية لبورجوازي صغير يقرض الشعر» يستخدم الشاعر كلمات تدل على اشتراكية الفكرة «المجان، الدين، يدفع، يستجدي، الحساب، ليرتين، مال، مدين، باع» كلها تصوير للعمل الذي يكون في أيدي الإقطاعيين. الإستعارة المفهومية الموجودة في عبارة «باع دم الشهيد» فرض الشاعر دم الشهداء كمتاع يباع ويشترى والعبارات التالية كلها توحي بنظرة اشتراكية.

وفي قصيدة «ذبابة تلتمس الفتات» يخاف الشاعر من ذكر الذبابة، والذبابة هنا رمز للعامل الذي يكون جسمه ناحل وقدرته قوية على أذى أصحاب الأعمال، فإنّ الذبابة تذكر في كثير من قصائد الشاعر وما أحسن استعمال هذه الصورة الجميلة لبؤس العمال عند البرجوازيين حيث استخدم الإلتماس وهو من الأفعال الإنسانية، للذبابة ليدل على كثرة الحاجة لقفيز من الخبز المبلل بالدموع.

يتذكر الشاعر صوت لنين في قصيدة «ميدان ماركس – أنجلز» فيقول: «صوت لنين الأخضر العميق لايزال/ يهدر في العالم/ والآلات/ والأنوال/ أسمعها/ تنبض في قلوبك/ يا إخوتي العمال/ ألمح وجه العالم الجديد في عيونكم.../ وفي أقوال لنين وهي تلهم الأجيال/ تصنع الرجال/ ...» (المصدر نفسه، ج1: 327)

الآلات تنبض في القلوب، والصوت لونه أخضر ويهدر في العالم، والرجال يُصنعون، فهذه الصور بمفردها استعارات جميلة تستخدم لغة ذات طابع اشتراكي في صورة بلاغية.

3- العدالة والمجتمع

نروم في هذا المحور تسليط الضوء على ما ترتكبه القوة الإستعبادية من فنون الجرائم ضد الإنسانية وما يحيط بالأدب من مآسي الإنسان تحت غيوم الفقر والظلم والهلاك، فالبياتي وهو من تجرّع مرّ الحياة وقد نُفِي عدة مرات اطّلع على مدى مضاضة هذه المآسي في حياة الإنسان والبؤس المحيط بعالم الإنسان المعاصر، لذلك انصرف إلى القضايا الكيانية الكبرى حيث «لاينحصر الشاعر المعاصر في أطر سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وإنّما يكتسب إيديولوجيته في الإطار الحضاري الشامل لمأساة الإنسان» (شكري، 1991: 174)، فلهذا يأخذ البياتي مادة التمرّد من تاريخ الأدب العربي العريق عبر القناعات المختلفة والمتنوعة التي تستمد دلالاتها من شخصيات متجذرة في تاريخ الشعر العربي كالمعري والمتنبي والخيام (الورقي، 1983: 290).

وقد عكسَ البياتي في تجربته الشعرية صورة معاناة الشعب المضطهد بسبب تعديات المستعمرين وأصحاب الإقطاع والبرجوازيين، فقد ركّز في تصوير جياع الشعب وأرقائه والحزن الناتج عن جهدهم للوصول إلى كسرة خبز تُداف بالدم والدموع وهي رمز للثروة التي يجب أن تكون بأيدي الناس جميعم.

يشكو الشاعر ألمه إلى الله فينادي قائلاً:

«رباه! أحوج ما نكونْ/ فقراء نحن إليك، أحوج ما نكونْ/ رب المساكين، الحزاني، الضائعين/ فقراء نحن إليك، رب الضائعين!» (المصدر نفسه، ج1: 165)

هذا المقبوس يوحي بشدّة الحاجة والضياع والفقر. لقد نسب الشاعر هذه المحن إلى ذاته الجماعية، وقد وجّه خطابه للرب وأضاف الرب للمساكين "رب المساكين"، لأنّه يريد الهداية من ربّه للخروج من الفاقة والمسكنة والحزن. إنّ الشاعر يؤكّد فقره بالضمير ليدل على كثرة الحاجة إلى الخروج من هذا الموقف الحرج واستفاد من الجمل الإسمية دون الأفعال ليصرّح بثبوت هذا العناء والفقر في أمته.

البياتي مهتمّ بمحن الشعوب في العالم فلا ينظر إلى بلده العراق فقط، بل إلى البلاد الإفريقية أيضاً، ونظرته الشمولية العالمية تجلو مشاهد الفقر والموت والظلمة أمام عيوننا. يقول البياتي:

«في ليل (إفريقيا) الحزين/ في ليل (إفريقيا) وزنجي جريح/ (ماري) تضمد رأسه والكادحون/ الكادحون السود والغربان والمستنقعاتْ/ ومزارع المطاط، والبوليس يفتك بالمئات/ ومنازل البيض، البرابرة اللئامْ/ تغفو، كحيوان خرافي، عجيبْ/ والشيب والأطفال في عرباتهم يتدحرجون/ ... .» (المصدر نفسه، ج1: 179)

يرى الشاعر أنّ الحزن يخيّم على جميع ممن حوله، فهو ~~نفسه~~ حزين، وشعبه حزين ولياليه وأيامه حزينة، فالحزن تجذّر في حياة الجميع وقد استخدم الاستعارات ليظهر هذه الصورة الحزينة لما حوله كما استخدم كثرة المجازات فبعض الأحيان لا يريد التصريح. يقول:

«ويخضبون/ رايات شعبك، يا صغيري، بالدماء/ وأنت لاه، لاتجيب/ لاه بلعبتك الجديدة، لاتجيب/ وعيون أمك في انتظاري، والسماء/ والليل في (بغداد) ينتظر الصباح/ وبائع الخبز الحزين/ يطوف في الأسواق، ...» (المصدر نفسه، ج1: 223-224)

يدرك الشاعر بأنّ صمود الفقراء والمستضعفين أمام الظلم والألم والمحن يعز على المستعمرين فيشبّه هذا الصمود طوال السنين بزيتونة عزّت على الحطاب والفأس، فيقول:

أعوامه السبعون زيتونة عزّت على الحطّاب والفأس
الشعرات البيض في رأسه تنبيء عن حرائق الأمس
والمطر العالق في جفنه سحابة تمطر في نفسي

(المصدر نفسه، ج1: 253)

الزيتون هنا رمز للصمود والمقاومة، والحطاب والفأس رمزان للإقطاعية والبرجوازية، فيدعي الشاعر بأنّ هذا الصمود عز على الإقطاعيين، ثم يستخدم صوراً بلاغية في تعبيره "المطر العالق في الجفن" وهذا إستعارة جميلة عن الدمع، و"سحابة تمطر في النفس"، وهذه التعابير توحي بمعاناة الشعب وبلاءهم وآلامهم.

وفي قصيدة أخرى تبرز مظاهر الظلم والاضطهاد عبر صورٍ بلاغية وأساليب تركيبة موحية فينزع الشاعر القناع عن المدينة فيقول:

«...في الأعماق/ أعماق المدينة/ لم تزل كالهرة السوداء/ كالأم الحزينة/ تلد الأحياء/ في صمت وأعماق المدينة/ تبصق الموتى على الأرصفة الغبر السخينة/ في ذراع الليل» (المصدر نفسه، ج1: 289)

استخدام الشاعر لكلمة "تبصق" يدل على أنّه يريد الإشارة إلى القدر الداني للناس في الحياة البرجوازية، فإنّه استخدم أسوأ الكلمات للتعبير عمّا يحدث في أعمال المدينة، حيث الأناس ليس لهم قدراً بل يولدون لأجل العمل بين يدي المستكبرين.

فالتشبيهات المتكررة والمتتالية تكشف عمّا يجيش في صدر الشاعر، من كراهية الحزن الموجود في صدره، والموتي المبصوقين على الأرصفة الغبر السخينة توحي بالتضحية فهذه الصورة الجميلة تدل على أنّ للخروج والتخلّص من العبودية والظلم لابد من التضحية، وذراع الليل وحضور الأموات فيه يلهمنا بأنّه يجب فقدان الأعزاء للوصول إلى الحرية، فذراع الليل مكان للأمن والراحة والاستقرار، ووجود الموتى في ذراع الليل يدلّ على انعدام الراحة والطمأنينة حتى في الليالي.

4- الثورة والكفاح

تظهر ثيمة الثورة والقيام في قصائد البياتي في المرحلة الرابعة من حياته التي اختصت بالثورة والكفاح فجعل شعره سلاحاً لهذه الفكرة المميزة. والثورة تتجلّى في أدب البياتي بأشكال مختلفة نراها في الكلمات وفي الأسلوب والصور.

ففي القصيدة الطليعية «أباريق مهشمة» نرى البياتي يصوّر ساحة مميزة للقيام ضد الإستعباد والظلم ويدعو إلى الجهاد والمناضلة حيث يعبّر عن هذا الإستعداد بقيام العبيد في تشييد المدائن من قرب بركان فيزوف و«بركان جبل فيزوف يقع في إيطاليا وقد وقع أكبر وأشهر انفجار له قبل حوالي 2000 عام مضت في العام 1379 للميلاد واستمر الانفجار لمدة تجاوزت الـ18 ساعة ودمّر في هذا الثوران الرهيب المدن الرومانية بومبي وهيركولانيوم، كما أسفر الانفجار عن مقتل آلاف من الناس وهم يحاولون الفرار» (www.addiyar.com)

يقول البياتي:

«الله والأفق المنوّر والعبيد/ يتحسسون قيودهم:/ «شيد مدائنك الغداة/ من قرب بركان فيزوف، ولاتقنع/ بما دون النجوم/ وليضرم الحب العنيف/ في قلبك النيران والفرح العميق» (المصدر نفسه، ج1: 113)

هذه الدعوة في النص السابق إشادة واضحة لإحياء روح المقاومة والحرية بأسلوب جميل. الشاعر يقدّم الفاعل (العبيد) لكي يقوم بدوره الاشتراكي في القصيدة والإبانة عن إيديولوجيا الحرية والثورة في الخطاب الاشتراكي. إنّه يقدّم "الله" والأفق المنوّر والقيود والمدائن والنجوم لكي يستمد من المعجم اللغوي الاشتراكي في الأداء الأدبي حتي يستقيم له التعبير عن الكفاح الجماعي ضد الظلم والإستعباد.

نجد في الحب العنيف وإضرام النيران والفرح معاً في القلب، مفارقة موحية ليبرز الشاعر مدى تجشمه وغضبه حيال الظلم والإستعمار. وفي موضع آخر يتناص مع شعر المتنبي ليبدى عن أمله المنشود للقيام والإحياء، فيقول: «ولاتقنع بما دون النجوم» وهذه العبارة باستعمال النفي مع الأمر بتشييد المدائن استخدمت في أسلوب نحوي يلزم العبيد بالثورة ومطالبتهم الحرية، فنحن نرى في هذه القصيدة كلمات (شيد، لاتقنع، ليضرم) تأمر أو تنهي واستبدال لغة (يتحسسون) مكان بعض الأفعال الأخرى ليوحي بقدرة العبيد على فك القيود ولزوم الكفاح.

وفي قصيدة أخرى يطالب الشاعر بوجوب القيام بالنضال ويمثّل أمام أعيننا الخمول والألاعيب الطفولية بدل النضال والجهاد فيقول:

«...والعبيد/ يتسكّعون، ومن جديد/ يستقبلون –هناك– طاغية جديد/ وخيولنا الخشبية العرجاء، كنا في الجدار/ بالفحم نرسمها، ونرسم حولها حقلاً ودار/ حقلا ودار/ ..../ وتثور أحقاد السنين/ فنعود، نبحث في بقايا الذكريات عن الحياة/ الأمس مات/ الأمس مات/ لم يبق حول «مدينة الأطفال» إلا ما نشاء/ إلا السماء ....» (المصدر نفسه، ج1: 158)

كما نرى تصريح الشاعر في هذا النص بآماله في فك القيود، قيود العبادة أمام الطغاة ويصوّر آلالام الشعب بأفعال وكلمات تفوح منها رائحة النضال. نرى التكرار لموت الأمس لتحفيز المتخاذلين عن القيام ونجد أنه يرسم الحقل والدار مرتين وهذا التكرار يوحي بأمله في تحرير البلاد من يد الطغاة، ثم إنّ الشاعر لايستخدم الكلمات إلا بصيغة الجمع وهذا يدل على رؤية اشتراكية ترى الجماعة فوق الفرد. فالاستعارات والتشبيهات قلما تُستعمل في هذا السياق لأنّ المقام لا يتطلّب الرمز والتشبية بل هذه هي رؤية واقعية عمّا يصدر عن أبناء الوطن فيصوّرها الشاعر ليثير بها الشعور إلى المقاومة والحرية.

النتائج

ظهرت اشتراكية البياتي في قصائده التي أنشدت من سنة 1954 إلى 1964 وما بقي منه ففيها ملامح الرومانسية والواقعية والثورة ولايمكن لنا أن نفك هذه الاشتراكية من الواقعية والثورة، بل نزوح الشاعر إلى الاشتراكية يرتبط بنزعته الثورية ورؤيته الواقعية.

ثم بعد ذلك نرى ملامح الحزن والغربة والسخرية في قصائد البياتي التي تتكلم في الدفاع عن المظلومين وفي مواجهة البرجوازيين والمستعمرين، ففي سياق هذا الحزن والكآبة اللذين يتجذران في طفولة الشاعر ومعاناته وتشريده يستخدم الرموز والكنايات والاستعارات

والمجازات بكثرة فضلاً عن استخدامه لآليات اللغة والنحو والبلاغة حرصاً من أذى القدرة والقوى القاهرة والذود عن حقوق العمال والمجتمع، ثم إنه يتحدّث عن الثورة لتحقيق سعادة المجتمع وإعطاء الشعب حقوقهم فيقف خلف قناع شخصيات التراث كالحجاج والمتنبي والمعري لكي يبرز الواقعية الموجودة في عالمه ويبيّن الحرية وينشد الأمل للشعب.

والبياتي اشتراكي المذهب في كثير من قصائده ولكننا لايمكن أن نعتبر هذا المذهب السياسي مخيّماً على كل حياته بل أصبح شيئاً من أدبه حيث ظهر في بدايات انتماءه للجناح العراقي اليساري وتعرّفه على الأدب السوفيتي الاشتراكي.

المصادر والمراجع

- ايگلتون، تری، (1383)، ماركس و آزادی، ترجمه اكبر معصوم بيگی، چاپ اول، تهران: نشر آگه.
- بال، ترنس و ريچارد دگر، (1386)، ايدئولوژيهاي سياسي و آرمان دموكراتيک، ترجمه احمد صبوري، چاپ دوم، تهران: مركز چاپ و انتشارات وزارت امور خارجه.
- البياتي، عبدالوهاب، (1995)، الأعمال الكاملة، جزءان، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر
----------، (1997)، خمسون قصيدة حب، الطبعة الأولي، تونس: دار سحر.
----------، (1999)، مدن ورجال ومتاهات، الطبعة الأولي، بيروت: دار الكنوز الأدبية.
- پتروسيانی، استفانو، (1380)، «سه مفهوم درباره آزادی ليبرال، دموكراتيک وسوسياليستی»، ترجمه وحيد كيوان، مجله‌ی فرهنگ توسعه، شماره 48، صص 89-87
- الخياط، جلال، (1987)، الشعر العراقي الحديث؛ مرحلة وتطور، الطبعة الثانية، بيروت: دار الرائد العربي.
- الدليمي، سلمان وعدنان محمد، (2012)، آخر المطاف، دار مأمون.
- راستگو، عباس، (1389)، المدرسة الواقعية الاشتراكية عند عبدالوهاب البياتي وأحمد عبدالمعطي حجاري، رسالة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، طهران: جامعة العلامة الطباطبايي.
- رزق، خليل، (1995)، شعر عبدالوهاب البياتي في دراسة أسلوبية، الطبعة الأولي، بيروت: مؤسسة الأشرف.
- سلدون، رامان، (1998)، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، القاهرة: دار قباء.
- سلطاني، علي اصغر، (1387)، قدرت، گفتمان و زبان؛ سازوكارهاي جريان قدرت در جمهوري اسلامي ايران، تهران: نشر ني.
- شفيعي كدكني، محمد رضا، (1387)، شعر معاصر عرب، چاپ دوم، تهران: سخن.
- شكري، غالي، (1991)، شعرنا الحديث إلى أين، الطبعة الأولي، القاهرة: دار الشروق.
- صبحي، محيي الدين، (1988)، الرؤيا في شعر البياتي، الطبعة الأولي، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- العام، رشيدة، (2006)، الحرية الفردية في المذهب الاشتراكي والاجتماعي، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد العاشر، صص 159-181.
- العروي، عبدالله، (2012)، مفهوم الايديولوجيا، الطبعة الثانية، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- فتوحي، محمود، (1395)، سبك شناسي؛ نظريه‌ها، رويكردها و روش‌ها، چاپ سوم، تهران: نشر سخن.
- فركلاف، نورمن، (1379)، تحليل انتقادي گفتمان، ترجمه فاطمه شايسته پيران و همكاران، چاپ اول، تهران: مركز مطالعات وتحقيقات رسانه ها
- قادري، حاتم، (1387)، انديشه‌هاي سياسي در قرن بيستم، چاپ دهم، تهران: سازمان سمت.
- الورقي، سعيد، (1983)، لغة الشعر العربي الحديث؛ مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، الطبعة الثانية، الاسكندرية: دار المعارف.
- وينسنت، اندرو، (1378)، ايدئولوژيهای مدرن سياسی، ترجمه مرتضی ثاقب‌فر، چاپ اول، تهران: ققنوس.
- ايطاليا.. هرم على الطريقة المطرية يعرض ضحايا بركان فيزوف، موقع الديار، (18/دی/ 1396):
https://www.addiyar.com/article/893832
- تجربيات سوسياليستی و سوسياليسم (بخش سوم)، گفتگو با كمال خسروی، (1396/12/3):
www.problematicaa.com/interview-with-kamal-khosravi/

[i] عُقدت معاهدة جبر– بيفن والتي تُسمى معاهدة بورت سميث سنة 1948 بين رئيس الوزراء العراقي صالح جبر الشيعي و رئيس وزراء بريطانيا بيفن (الدليمي ومحمد، 2012: 48).